محاضرات في مقياس النص الأدبي المعاصر

تخصص لسانيات السنة الثانية ليسانس

أ.د. شريف بموسى عبد القادر

المحاضرة 1 :

الرواد والتجربة الشعرية الجديدة :

كان لعوامل النهضة العربية تأثير مهم في الشعر، إذ نمت رغبة ملحة في التغيير والتجديد لدى الشعراء ولا سيما في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين بجهود بعض الشعراء مثل محمود سامي البارودي في مصر ومحمد سعيد الحبوبي في العراق وقامت محاولات جادة لتطوير الشعر العربي مثل محاولة الشعر المرسل، أو نظام المقطوعات.

كما لم تقف حركة التطور الموسيقية للقصيدة العربية عند حدود التحرر الجزئي من قيود القافية، بل تخطتها إلى أبعد من ذلك، فقد ظهرت محاولة جديدة وجادة في ميدان التجديد الموسيقى للشعر العربي عُرفت " بالشعر الحر ".

وكانت هذه المحاولة أكثر نجاحا من سابقتها، وقد تجاوزت حدود الإقليمية لتصبح نقلة فنية وحضارية عامة في الشعر العربي، ولم يمض سنوات قلائل حتى شكل هذا اللون الجديد من الشعر مدرسة شعرية جديدة حطمت كل القيود المفروضة على القصيدة العربية، وانتقلت بها من حالة الجمود والرتابة إلى حال أكثر حيوية وأرحب انطلاقا. وبدأ رواده ونقاده يسهمون في إرساء قواعد هذه المدرسة التي عرفت فيما بعد بمدرسة الشعر الحر، ومدرسة شعراء التفعيلة أو الشعر الحديث.

وهذا التجديد الحقيقي للشعر وظهور ما يُعرف بالشعر الحر في منتصف القرن العشرين، كان على عاتق مجموعة من الشعراء العراقيين هم " نازك الملائكة وبدر شاكر السياب والبيّاتي ".

فقد بدأت بوادر هذا النوع الجديد من الشعر تتبلور بعد الحرب العالمية الثانية؛ فمنذ سنتي 1946 و 1947 طرأ على الشعر العربي تحول كبير خصوصا بظهور قصيدة **(وهل كان حبا)** للشاعر العراقي **بدر شاكر سياب سنة** 1946 ثمّ قصيدة **(الكوليرا)** للشاعرة العراقية **نازك الملائكة** سنة 1947. فالحركة الشعرية المعاصرة كانت عراقية المنشأ ثم انتشرت بعد ذلك في الشام وفي مصر وغيرها من البلدان العربية الأخرى.

وسنتطرق في هذه المحاضرة إلى أحد أهمّ رواد الشعر الحر في العالم العربي وهي الشاعرة العراقية **نازك الملائكة.**

ترجمة موجزة للشاعرة نازك الملائكة وأهم أعمالها:

ولدت نازك الملائكة ببغداد في 23 آب/ أغسطس 1923 وهي الأكبر بين أربعة أولاد، وقد سميت بهذا الاسم تيمُّنًا بنازك العابد الثائرة التي حاربت جيش الاحتلال الفرنسي في سوريا عام 1923.

كان والدها شاعرًا ومدرسًا للغة وقد شجعها على القراءة، كما كانت أمها أيضًا شاعرة وقد نشرت أعمالها تحت اسم مستعار وهو أم نزار الملائكة حيث كان ذلك

الأسلوب المتبع والسائد بالنسبة للكتاب من النساء في تلك الفترة. وقد تغير هذا الأمر فيما بعد على يد ابنتها.

تخرجت **نازك الملائكة** من كلية الآداب في جامعة بغداد عام 1944، وفيما بعد أكملت دراسة الماجستير في الأدب المقارن في جامعة ويسكونس – Wisconsinلإعداد الماجستير في الأدب المقارن.

تعدُّ نازك الملائكة إحدى أبرز الشاعرات في الشعر العربي الحديث، وقد جمعت بين الثقافتين العربية والغربية، إضافة إلى إتقانها لأربع لغات.

وتعد الملائكة من أبرز رواد شعر التفعيلة مع بدر شاكر السياب، وتعدّ "الكوليرا "من أولى قصائد ها فيشعر التفعيلة.

في عام 1970 غادرت الملائكة العراق إلى الكويت بعد عامين من وصول الرئيس صدام حسين إلى السلطة، ومن ثمَّ غادرت الكويت إلى القاهرة بعد غزو العراق للكويت عام 1990. ومع مرور الوقت أصبحت انعزاليةً أكثر،

توفيت نازك الملائكة في 20 حزيران/ يونيو 2007 في القاهرة عن عمر ناهز 83 عامًا إثر هبوطٍ حاد في الدورة الدموية.

وقد تركت إرثًا كبيرًا من القصائد ضمّنتها في دواوين شعرية منها :

- **"عاشقة الليل" عام 1947،**
- **"شظايا الرماد" عام 1949،**

- **"قرارة الموجة" عام 1957،**
- **"شجرة القمر" عام 1968،**
- **"يغير ألوانه البحر" عام 1970،**
- **"مأساة الحياة " و" أغنية للإنسان" عام 1977،**
- **"الصلاة والثورة " عام 1978،**

بالإضافة إلى آخر قصائدها " **أنا وحيدة** " والتي كتبتها كتأبين لزوجها.

ولها عدد من الكتب النقدية نذكر منها :

- **قضايا الشعر المعاصر – 1962**
- **الصومعة والشرفة الحمراء – 1965**
- **سيكولوجية الشعر وقضايا أخرى – 1993**

نازك الملائكة وشعر التفعيلة

يتّصل اسم نازك الملائكة بشعر التفعيلة أو الشعر الحرّ، وقد كان لها دور مهم وكبير في التنظير لهذا الشعر الجديد في مقدمة ديوانها " **شظايا ورماد**" ، وفيها حاولت أن تثور على العروض الخليلي في الشعر، وقد كان لذلك أكبر الأثر في الأوساط الأدبية والنقدية؛ إذ اختلف النقاد والشعراء حول هذا الشعر، وانقسموا بين مؤيّد ومعارض

له، واختلف النقاد أيضًا حول قضية ريادة هذا الشعر أيضًا هل هي لنازك الملائكة أم لبدر شاكر السياب.

ولعلّ قصيدة **الكوليرا** التي كتبتها في سنة 1947 هي أولى قصائدها المنشورة التي اعتمدت فيها شعر التفعيلة. وقد استلهمت موضوع الكوليرا من الأخبار التي كانت تُذاع عبر الراديو عن ارتفاع عدد الوفيات بسبب هذا المرض في مصر، حيث تقول في حديثها عن الإبداع الشعري المقتبس من سيرتها الذاتية التي كتبتها بنفسها ونشرت في مجلة إيلاف الالكترونية:

"خلال ساعة واحدة انتهيتُ من كتابة القصيدة وركضت مسرعةً إلى بيت أختي إحسان، قلت لها لقد كتبت شعرًا مختلفًا من حيث الشكل وسوف يسبب جدلًا كبيرًا"، وحالما قرأت إحسان الشعر أصبحت من أشدّ الداعمين لها، بينما تقبلت والدتها الشعر ببرودة وقالت ما هي القافية في هذا الشعر إنه يفتقر إلى الموسيقى الشعرية، وكذلك الأمر بالنسبة لوالدها الذي انتقد وسخر من جهدها المبذول كما توقع لها الفشل. لكنها حالما فهمت الوضع قالت بوضوح: "قل ما شئت أن تقول إنني واثقة من أن شعري سوف يغير خارطة الشعر العربي".

المحاضرة 2 : نازك الملائكة وقصيدة " الوباء "

تحليل ودراسة

قصيدة " الكوليرا "

سكَن الليلُ

أصغِ إلى وَقْع صَدَى الأنَّاتْ

في عُمْق الظلمةِ، تحتَ الصمتِ، على الأمواتْ

صَرخَاتٌ تعلو، تضطربُ

حزنٌ يتدفقُ، يلتهبُ

يتعثَّر فيه صَدى الآهاتْ

في كل فؤادٍ غليانُ

في الكوخِ الساكنِ أحزانُ

في كل مكانٍ روحٌ تصرخُ في الظُلُماتْ

في كلِّ مكانٍ يبكي صوتْ

هذا ما قد مَزّقَهُ الموتْ

الموتُ الموتُ الموتْ

يا حُزْنَ النيلِ الصارخِ مما فعلَ الموتْ

طَلَع الفجرُ

أصغِ إلى وَقْع خُطَى الماشينْ

في صمتِ الفجْر، أصِخْ، انظُرْ ركبَ الباكين

عشرةُ أمواتٍ، عشرونا

لا تُحْصِ أصِخْ للباكينا

اسمعْ صوتَ الطِّفْل المسكين

مَوْتَى، مَوْتَى، ضاعَ العددُ

مَوْتَى، موتَى، لم يَبْقَ غَدُ

في كلِّ مكانٍ جَسَدٌ يندُبُه محزونْ

لا لحظَةَ إخلادٍ لا صَمْتْ

هذا ما فعلتْ كفُّ الموتْ

الموتُ الموتُ الموتْ

تشكو البشريّةُ تشكو ما يرتكبُ الموتْ

الكوليرا

في كَهْفِ الرُّعْب مع الأشلاءْ

في صمْت الأبدِ القاسي حيثُ الموتُ دواءْ

استيقظَ داءُ الكوليرا

حقْدًا يتدفّقُ موْتورا

هبطَ الوادي المرِحَ الوُضّاءْ

يصرخُ مضطربًا مجنونا

لا يسمَعُ صوتَ الباكينا

في كلِّ مكانٍ خلَّفَ مخلبُهُ أصداءْ

في كوخ الفلاّحة في البيتْ

لا شيءَ سوى صرَخات الموتْ

الموتُ الموتُ الموتْ

في شخص الكوليرا القاسي ينتقمُ الموتْ

الصمتُ مريرْ

لا شيءَ سوى رجْعِ التكبيرْ

حتّى حَفّارُ القبر ثَوَى لم يبقَ نَصِيرْ

الجامعُ ماتَ مؤذّنُهُ

الميّتُ من سيؤبّنُهُ

لم يبقَ سوى نوْحٍ وزفيرْ

الطفلُ بلا أمٍّ وأبِ

يبكي من قلبٍ ملتهِبِ

وغدًا لا شكَّ سيلقفُهُ الداءُ الشرّيرْ

يا شبَحَ الهيْضة ما أبقيتْ

لا شيءَ سوى أحزانِ الموتْ

الموتُ، الموتُ، الموتْ

يا مصرُ شعوري مزَّقَهُ ما فعلَ الموتْ

لقد صوّرت نازك الملائكة في قصيدة الكوليرا التي نظمتها، مشاعرها وأحاسيسها نحو مصر التي ألمّ بها وباء الكوليرا، وحاولت التعبير عن مدى فظاعة هذا الوباء بما يحمله من موت ودمار وحزن وآلام في الريف المصري.

وتبدأ القصيدة بقول الشاعرة:

سكَن الليلُ

أصغِ إلى وَقْع صَدَى الأنَّاتْ

في عُمْق الظلمةِ، تحتَ الصمتِ، على الأمواتْ

صَرخَاتٌ تعلو، تضطربُ

حزنٌ يتدفقُ، يلتهبُ

يتعثَّر فيه صَدى الآهاتْ

في كل فؤادٍ غليانُ

في الكوخِ الساكنِ أحزانُ

في كل مكانٍ روحٌ تصرخُ في الظُلُماتْ

في كلِّ مكانٍ يبكي صوتْ

هذا ما قد مَزّقَهُ الموتْ

الموتُ الموتُ الموتْ

يا حُزْنَ النيلِ الصارخِ مما فعلَ الموتْ

تبدأ الشاعرة قصيدتها بتحديد الزمن وهو الليل الذي يرمز هنا إلى ليل الظلام بما يحمله معه من مرض ووباء وضحايا وما يحمله هذا الليل من ألم وحزن وأنّات وآهات تملأ البيوت والمساكن بسبب الموت الذي يحمله وباء الكوليرا.

ونلاحظ في هذه المقطوعة تكرار لفظة " الموت " كنوع من اللازمة والذي يعني لنا بوضوح شمولية الموت واجتياحه لجميع الأمكنة وسيطرته عليها فوباء الكوليرا يصنع الموت ويجعله يتوالد بشكل مريع كما يصنع الألم والصرخات والأنّات، وهذا ما لفت نظر الشاعرة ويلفت نظر المشاهد والقارئ معا.

وتتابع وصف ما يحدثه المرض من آثار فتقول الشاعرة :

طَلَع الفجرُ

أصغِ إلى وَقْع خُطَى الماشينْ

في صمتِ الفجْر، أصِخْ، انظُرْ ركبَ الباكين

عشرةُ أمواتٍ، عشرونا

لا تُحْصِ أصِخْ للباكينا

اسمعْ صوتَ الطِّفْل المسكين

مَوْتَى، مَوْتَى، ضاعَ العددُ

مَوْتَى، موتَى، لم يَبْقَ غَدُ

يبدأ الوباء في حصد المزيد من الأرواح فالأعداد في تزايُد، وأصبح الموت أعمى يقضي على كلّ الناس، لا يفرّق بين طفل مسكين صغير وشيخ مفجوع كبير، وتنتهي القصيدة بقول الشاعرة:

في شخص الكوليرا القاسي ينتقمُ الموتْ

الصمتُ مريرْ

لا شيءَ سوى رجْعِ التكبيرْ

حتّى حَفّارُ القبر ثَوَى لم يبقَ نَصِيرْ

الجامعُ ماتَ مؤذّنُهُ

الميّتُ من سيؤبّنُهُ

لم يبقَ سوى نوْحٍ وزفيرْ

الطفلُ بلا أمٍّ وأبِ

يبكي من قلبٍ ملتهِبِ

وغدًا لا شكَّ سيلقفُهُ الداءُ الشرّيرْ

يا شبَحَ الهيْضة ما أبقيتْ

لا شيءَ سوى أحزانِ الموتْ

الموتُ، الموتُ، الموتْ

يا مصرُ شعوري مزَّقَهُ ما فعلَ الموتْ

لم يترك هذا الوباء سوى صمت الموت والحزن المنتشر في كلّ مكان، حيث نجد الشاعرة نازك الملائكة حزينة جدا على مصر بسبب ما أحدثه هذا الوباء من فناء وآلام وأحزان.

مراجع المحاضرة :

1- مدخل إلى المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر – نسيب النشاوي.

المحاضرة 3:

الفنون النثرية المعاصرة – القصة والقصة القصيرة جدا

أ.د. شريف بموسى عبد القادر

فمع أنّ فنّ القصة معروف منذ مدة طويلة سواء عندنا نحن العرب أو الغرب لكنّ النوع الأدبي الذي نطلق عليه اسم " القصة القصيرة جدا " لا يزال مجهولا عندنا نحن العرب أو إنّه – إن صحّ هذا التعبير – بدأ يمشي خطواته الأولى عندنا. ولهذا ارتأيت في هذه المحاضرة التعريف بهذا الفن النثري المعاصر وأهمّ خصائصه ومميزاته.

تطور القصة القصيرة جدا وجذورها التاريخية:

إذا أردنا تتبّع تطور فن القصة القصيرة جدا، فسنجده إبداعا نثريا حديث العهد، ظهر بأمريكا اللاتينية منذ مطلع القرن العشرين لعوامل ذاتية وموضوعية. ولكنّ أوّل ظهور له كان مع الكاتب الأمريكي إرنست همينغواي سنة 1925م، وذلك حينما أطلق على إحدى قصصه مصطلح :" القصة القصيرة جدا Very Short Story – " ، وكانت تلك القصة تتكوّن من ثماني كلمات فحسب:

"للبيع، حذاء لطفل، لم يلبس قط ."

وكان هيمنغواي يفتخر بهذا النص الإبداعي القصير جدا، فكان يعتبره أعظم ما كتبه في حياته الإبداعية. بينما يُعد الكاتب الغواتيمالي أوجستو مونتيروسو (Augusto Monterroso)أول من كتب أقصر نصّ قصصي في العالم تحت عنوان: " الديناصور:"

"حينما أفاق، كان الديناصور لا يزال هناك

Cuando despertó, el dinosaurio todavía estaba allí." .

وتتكوّن هذه القصة القصيرة جدا من سبع كلمات فقط.

ومن أهم كتابها: خوليو كورتاثار، وخوان خوصي أريولا، وإدواردو غاليانو، وخابيير تومبو، وخورخي لويس بورخيس، وإرنستو ساباتو، وخوسي دونوسو، وفيكتوريا أوكامبو، وأوغيستو مونتيروسو، وفلسبرتو هرناندیث ، وآخرون كثيرون...

وبعد ذلك، انتشرت هذا النوع من القصص القصيرة جدا بشكل من الأشكال بأوروبا والولايات المتحدة الأمريكية والعالم العربي، وذلك عن طريق الترجمة والمثاقفة وعمليات التأثير والتأثر...

بينما ظهرت القصة القصيرة جدا في العالم العربي منذ منتصف القرن العشرين، وربما قبل ذلك مع قصص جبران خليل جبران كما هي موجودة في مجموعتيه :" المجنون" و" التائه."

ولقد تبلور هذا الجنس الأدبي الجديد – على حد علمي – في العراق و الشام، ثمّ ازدهر مؤخرا في دول المغرب العربي، وخاصة في المغرب.

ومن أهم الكتاب المغاربيين هذا الجنس نذكر من المغرب : حسن برطال وعبد الله المتقي، ومصطفى لغتيري ومحمد إبراهيم بوعلو، وخصوصا حسن البقالي .

ومن تونس نذكر الكاتب الروائي والقصاص إبراهيم درغوثي الذي كتب مجموعة من النصوص القصصية القصيرة جدا، كقصصه :" حب مجانين" في موقع:" أدب فن... "

ومن الجزائر، نذكر عبد القادر برغوث الذي كتب مجموعة من النصوص القصصية القصيرة جدا في عدة مواقع رقمية، ولاسيما في موقع :"إيلاف " وسعيد بوطاجين في مجموعته القصصية القصيرة جدا الجديدة "جلالة عبد الجيب" الصادرة سنة 2017.

تعدد التسميات والمصطلحات:

أطلق الدارسون على هذا الجنس الأدبي الجديد عدة مصطلحات وتسميات لتطويق هذا المنتوج الأدبي تنظيرا وكتابة، والإحاطة بهذا المولود الجديد من كل جوانبه الفنية والدلالية والمقصدية. ومن بين هذه التسميات: القصة القصيرة جدا، ولوحات قصصية، وومضات قصصية، ومقطوعات قصيرة، وبورتريهات، وقصص، وقصص قصيرة، ومقاطع قصصية، ومشاهد قصصية، والأقصوصة، وفقرات قصصية، وملامح

قصصية، وخواطر قصصية، وإيحاءات، والقصة القصيرة الخاطرة، و القصة القصيرة الشاعرية، والقصة القصيرة اللوحة، والقصة اللقطة، والكبسولة، والقصة البرقية، وحكايات، ولقطات قصصية، والقصة الومضة، وقصص مينيمالية، والتخييل المينيمالي، والتخييل القصير جدا، والقصص المختصرة أو المختزلة،...

وبحسب الناقد المغربي الدكتور جميل حمداوي فهو يميل إلى مصطلح القصة القصيرة جدا لاعتبارات منهجية وتنظيرية لأنّ هذا المصطلح يعبر عن المقصود بدقة ووضوح، مادام يركز على ملمحين أساسين لهذا الفن الأدبي الجديد، وهما: قصر الحجم، والنزعة القصصية. كما أنّه يترجم المصطلح الإسباني المعروف المعبر عن هذا الجنس الجديد في مجال السرديات الأدبي . (Microrrelatos) ويعني هذا المصطلح الأجنبي المحكي القصير جدا، أو السرد القصير جدا، أو القصة القصيرة جدا.

تعتبر القصة القصيرة جداً نوعاً من الفنّ الأدبي الذي شاع في العصر الحديث بشكل واسع، واستطاع أن يتحول إلى فن سردي قائم بذاته، ويتميز بحجمه الصغير جداً، والذي لا يتعدى البضعة أسطر التي تحتوي على الحدث والأفكار بشكل مكثف ومختزل، كما يتميز هذا الفن الأدبي بالتصوير البلاغي الذي يطغى على السرد المباشر.

تعريـف القصة القصيرة جدا:

القصة القصيرة جدا جنس أدبي حديث يمتاز بقصر الحجم، والإيحاء المكثف، والانتقاء الدقيق، علاوة على النزعة القصصية الموجزة.

كما تقوم القصة القصيرة جداً على حركتين رئيستين، هما الحركة الداخليّة التي تؤسس العلاقات النفسيّة والانفعاليّة، والحركة الخارجيّة التي تكوّن تقنيات القصة القصيرة جداً.

عناصر القصة القصيرة جداً

- **المفارقة**

القصة القصيرة جدا من حيث هي مادة لغوية، لا تطابق الواقع المادي ولا تحاكيه، بل تفارقه؛ وحركة المفارقة هي حركة نمو وتطور لا توازي الواقع فتحلق فوقه كالظل يواكب صاحبه؛ بل تنمو وتنهض على حد صراعي هو حد التناقضات.

ولا يتحقق البناء السردي في تجربة القصة القصيرة جدا إلا عبر كوة المفارقة؛ وقبل الخوض في الموضوع لابد من تعريف مفهوم المفارقة"L'ironie" ؛ فهي اسم مفعول من " فارق" ويقال : فارق الشيء مفارقة وافتراقا أي باينه؛ وفارق الرجل امرأته مفارقة وفراقا: بَاينها وافترق عنها. والفرقان بمعنى القرآن وهو كل ما فرق بين الحق والباطل.

إنّ المفارقة تعني جريان أحداث بشكل عفوي على حساب أحداث أخرى هي المقصودة والرئيسة، والمفارقة من العناصر الأساسية للقصة، والتي يلجأ إليها الكاتب لإظهار نقيض ما يعنيه، فيظهر المديح بما يشابه الذم، ويظهر الذم بما يشابه المديح.

تعتبر المفارقة في القصة القصيرة جداً تقنية قصصيّة تستخدم للابتعاد عن

السرد، وهي تبعث الإثارة والحماس في نفس القارئ، وعادة ما تنتج من ثنائيّة تحمل بعدين متقابلين أو متضادين مثل الرفض والموافقة، والواقعية وغير الواقعية .

الخاتمة

تمثل الخاتمة الأهداف أو الغاية التي سعى الكاتب إلى إيصالها للقارئ خلال صياغته القصة، وهناك اختلاف واضح بين خاتمة القصة القصيرة التي يمكن أن تكون مقفولة، أو مفتوحة، أو رمزيّة، أو واضحة، وخاتمة القصة القصيرة جداً التي تكون وليدة السرد، كما أنّها لا تبرز من مضمون القصة الذي يفرض خاتمة معينة، وإنّما تعتبر العنصر الأقوى والأهم بين عناصر القصة القصيرة جداً، فهي تعدّ نقلة سريعة من داخل النص المحفز إلى خارجه المدهش والمستفز.

- **مقياس الترميز:**

من المعلوم أن القصة القصيرة جدا تشترك مع باقي الأجناس الأدبية في خاصية الترميز، وتحول لغة القصة ومعاجمها السردية إلى دوال رمزية، وأقنعة سيميائية، وإحالات دالة، ومؤشرات نصية مفتوحة.

- **مقياس الفانطاستيك:**

يعد الفانطاستيك من أهم سمات القصة القصيرة جدا، ومن أهم شروطها الخارجية . والآتي، أنه ينبني على العجيب والغريب على حد سواء. وقد يثير الفانطاستيك الخوف والاستغراب أو الإعجاب والاندهاش.

- **مقياس الإيحاء:**

تتسم مجموعة من القصص القصيرة جدا بخاصية الشاعرية، وبلاغة الإيحاء، ولغة المجاز والتغريب. وترد القصص في شكل قصائد نثرية، سماها البعض " أقصودة"؛ لأنها تجمع بين المحكي السردي والخطاب الشعري المتوهج .

لا بدّ للقصة القصيرة جداً أن تروي حكاية ما، وأن تدخل إلى الحدث مباشرة.

يقول مصطفى لغتيري في قصته القصيرة جدا " تسونامي: "

"هنالك في ذيل القارة السوداء، جاء الغرباء فجأة، وطفقوا – بلا هوادة – يدهنون الذيل بطلاء أبيض، فاقع لونه..

من مكانها على مقربة من رأس الرجاء الصالح، رأت موجة سوداء ما حدث، فثارت غاضبة ..انطلقت من عقالها..اكتسحت الذيل، فجرفت ذلك الطلاء الأبيض."

تشرع القصة من داخل الفعل، فالغرباء جاؤوا فجأة، ولا تقدم لنا القصة كيف جاؤوا ولماذا، ولا يذكر الكاتب زمن الكتابة، ولم يكن هناك شرح وتوضيح لصفات الشخصيات غير أنهم غرباء عن الأرض التي قدموا إليها. الزمن هنا مفهوم وهو زمن الاستعمار الذي نهب وقتل وشرد، ويريد أن يستولى على مقدرات وثروات أفريقيا السوداء، تتضمن القصة الصراع القاسي الذي خاضته أفريقيا للتحرر من نير الاحتلال والعبودية، والمقاومة البطولية لشعوبها. هنا لا يوجد مكان للوصف المستفيض، فكل كلمة في القصة هي ركن أساسي لا يمكن الاستغناء عنه. هي قصة تصل إلى ما تريد في أقل الكلمات.

كما أنّ الحكائية موجودة في القصة، فهي تروي عن غرباء أتوا ليستولوا على أراض ليس لهم فيها حق، واستعباد الشعوب البسيطة والفقيرة، وتنتسب إلى فنون الحكي، فأي قصة تخرج من نطاق القصة القصيرة جداً إذا خلت من القص.

ويمكننا اعتبار غياب الحكائية عن الكثير من النصوص القصصية يكون سبباً في إخفاقها.

وحتى يمكننا استيعاب هذه الخصائص للقصة القصيرة جدا نُنهي هذه المحاضرة بنماذج ومختارات من روائع القصة القصيرة جدا.

مختارات من القصة القصيرة جدا:

الانتحاري – إنريكي أَندرسون إمبرت (الأرجنتين)

بالقرب من الكتاب المقدّس المفتوح، حيث سطّر باللون الأحمر في صفحة الفقرة التي تشرح كل شيء، وضع الرسائل : لزوجته وللقاضي وللأصدقاء. بعدها شرب السمّ ونام.

لم يحدث شيء. بعد ساعة، استفاق ونظر إلى القارورة. نعم، كانت قارورة سمّ فعلا .

كان متأكّدا تمام التأكّد! عاد لملء الجرعة وشرب كأسا آخر. نام من جديد. بعد ساعة لم يمت أيضا. ساعتها حمل مسدّسه وأطلق الرصاص على رأسه. ما هذه

الدعابة السخيفة؟ أحدهم كان قد غيّر قارورة السم بالماء، وغيّر الرصاص الحقيقي برصاص الصوت، لكن من يكون ومتى قام بذلك؟

أطلق صوب رأسه الرصاصات الأربعة المتبقية لكن من دون جدوى. أغلق الكتاب المقدّس، حمل الرسائل وخرج من الغرفة. ساعتها، كان صاحب النزل والخدم والفضوليون يتّجهون نحوه، والفزع يغمرهم من هول دويّ الطلقات الخمس.

عند وصوله إلى بيته وجد زوجته مقتولة بالسم ووجد أيضا أطفاله الخمسة مطروحين أرضا، تخترق رصاصة رأس كلّ واحد منهم.

حمل سكّين المطبخ، رفع ملابسه فبقيت بطنه عارية، وبدأ بطعنها في محاولة لشقّها. كانت شفرة السكين تنغرز في اللحم اللين وبعدها تخرج نظيفة كالماء. كان اللحم يعود كما كان، كالماء بعد أن تخرج منه سمكة.

سكب على ملابسه بنزينا وكانت أعواد الثقاب تنطفئ وهي ترتعش من البرد.

ركض صوب الشرفة، وقبل أن يرمي بنفسه على الأرض، استطاع أن يرى في الشارع حشد الرجال والنساء وهم ينزفون دما من بطونهم المشقوقة بفعل الطعنات، وسط ألسنة لهب في المدينة التي تحترق عن بكرة أبيها.

الشهرة – إنريكي أَندرسون إمبرت (الأرجنتين)

رآها الشاعر تمرّ بسرعة، وبسرعة جرى وراءها، واشتكى:

–لا شيء لي أنا ؟ لقد ميَّزتِ شعراء كثيرين أقلّ مني، وأنا متى يأتي دوري؟

ودون أن تتوقف، نظرت الشهرة إلى الشاعر بازدراء، وأجابته ضاحكة، ومسرعة الخطو:

–في غضون عامين بالضبط، وعلى الساعة الخامسة زوالا بمكتبة كلية الفلسفة والآداب، سيفتح صحافي شاب أول كتاب نشرته، وسيأخذ منه معلومات لإنجاز دراسة تبجيلية. أعدك أنّني سوف أكون هناك.

–آه... سأشكرك كثيرا على ذلك.

–اشكرني الآن، فبعد عامين لن تكون هنا.

الديناصور – أوغستو مونتيروسو (غواتيمالا)

حينما استيقظ، كان الديناصور لا يزال هناك.

قصة خرافية – أليخاندرو خودوروسكي (تشيلي)

قالت ضفدعة، تحمل تاجا على رأسها، لسيِّد: « قبِّلني، من فضلك ». فكّر السيِّد :

« هذا الحيوان مسحور. من الممكن أن يتحول إلى أميرة جميلة، وريثة عرش ما. فنتزوج وأصبح ثريا ». قبَّل الضفدعة فوجد نفسه وقد تحوّل على الفور إلى ضفدع لزج. صرخت الضفدعة بسعادة: « يا حبّي، منذ مدة طويلة وأنت مسحور، لكنّني تمكّنتُ من إنقاذك أخيرا».!

رحلة النملة العظيمة – رافاييل موندون (الأورغواي)

"آه...لقد عرفتُ العالم "، قالت النملة لنفسها، عند نهاية رحلتها حول عِرق، في ورقة شجر، في غصن، في شجرة زيتون، في غابة، في بلد مليء بالأشجار. قالت النملة ذلك وعادت إلى منزلها، والسلام يعمُّ روحها، كي لا تخرج ثانيةً أبداً.

مراجع للاستزادة:

- مختارات من القصة الإسبانو–لاتينية القصيرة جدا : أ.د. شريف بموسى عبد القادر – دار أجنحة للنشر – قسنطينة / الجزائر – 2017.

المحاضرة 5 : الرواية العربية المعاصرة وأعلامها:

الطيب صالح وروايته "موسم الهجرة إلى الشمال"

تعتبر الفترة الزمنية التي يمكننا اعتبار رواية عربية ما، رواية معاصرة هي – بحسب الكثير من النقاد – الفترة الممتدة إلى خمسين سنة ، ومن هنا نجد روايات كثيرة تدخل في المعاصرة. ومن أهم أعلام الرواية العربية في هذه الفترة نجد مجموعة من الروائيين العرب على رأسهم الروائي المصري نجيب محفوظ صاحب جائزة نوبل للآداب سنة 1988، والروائي السوداني الطيب صالح والروائي السوري حنا مينة والروائي الليبي المعروف عالميا إبراهيم الكوني صاحب أكثر من 48 رواية إلى غاية سنة 2019، وفي الجزائر نجد واسيني الأعرج صاحب أكثر من 26 رواية إلى غاية 2019. بينما في المغرب نجد محمد عزّ الدين التازي بأربعة وعشرين (24) رواية (من 1978 إلى 2015).

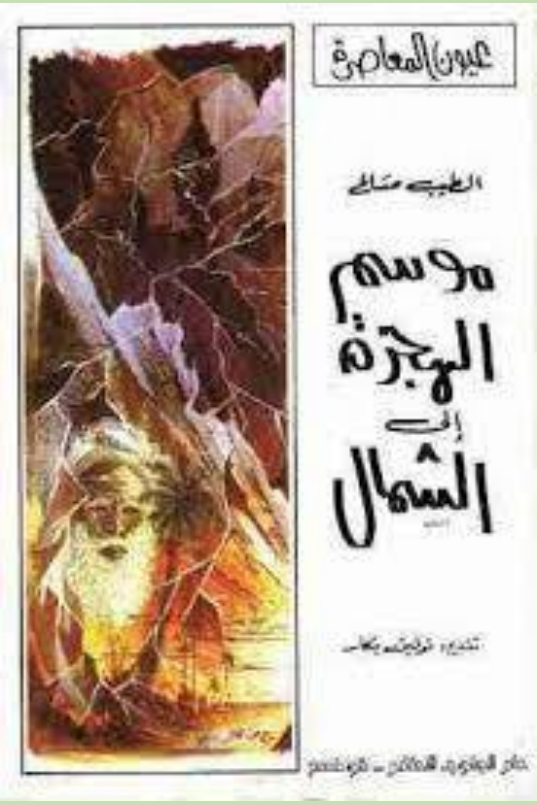

كما أنّ هناك روائيون عرب معاصرون آخرون لا تسعنا المحاضرة لذكرهم كلّهم واكتفينا هنا بذكر أهمّ الأعلام. وسنركّز على أحد أهمّ الروائيين العرب الذين قدّموا في

وقتهم قفزة نوعية للرواية العربية بروايته الحضارية الرائعة " موسم الهجرة إلى الشمال"؛ إنّه الروائي السوداني الطيب صالح.

سيرة الطيّب صالح وأهمّ أعماله:

الطيّب صالح قاصّ وروائي عربي مشهور، لقّب بعبقريّ الرواية العربية، «ولد في مركز مروي (المديريّة الشمالية– السودان) عام 1929 م، تلقى تعليمه في وادي سيدنا» (1)، ثم انتقل إلى الخرطوم لإكمال دراسته حيث حصل على البكالوريوس في العلوم، ثم انتقل إلى العاصمة البريطانية لندن حيث غيَّر تخصصه ودرس في جامعاتها العلوم السياسية.

تقلّب الطيب صالح بين عدة مواقع مهنية، إذ أدار مدرسة في السودان، ثم عمل إعلاميا في القسم العربي لهيئة الإذاعة البريطانية "بي بي سي"، وترقى فيها حتى وصل إلى منصب مدير قسم الدراما.

ثم عاد إلى السودان وعمل مدة في الإذاعة السودانية، ثم هاجر إلى دولة قطر وعمل في وزارة إعلامها وكيلا ومشرفا على أجهزتها. ومن بعد ذلك عمل الطيب صالح مديرا إقليميا بمنظمة اليونيسكو في باريس، وعمل ممثلا لهذه المنظمة في الخليج العربي.

التجربة الأدبية

بدأ الطيب صالح الكتابة منذ أواخر الخمسينيات من القرن الماضي، وتنوّعت أعماله بين القصة والرواية على وجه الخصوص. فإلى جانب مجموعتيه القصصيتين

المعروفتين " نخلة على الجداول" و " دومة ود حامد " نجد له مجموعة من الروايات منها " عرس الزين " و رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" ثمّ "بندرشاه؛ ضو البيت" و"بندرشاه؛ مريود"، بالإضافة إلى روايتين قصيرتين هما : " منسي؛ إنسان نادر على طريقته" و " الرجل القبرصي."

كان مسكونا ببيئته السودانية وعكس ذلك في رواياته وقصصه، فعالج بطريقة أدبية إيحائية إشكالية التعددية الإثنية والثقافية والصدام بين الحضارات، وخاصة في روايته الأشهر "موسم الهجرة إلى الشمال."

كما مكّنه ذلك من كتابة نصوص بأسلوب سردي ومهارات وصفية وتصويرية اعتبرها النقاد متميزة، وخاصة في روايته "موسم الهجرة إلى الشمال" التي لقيت انتشارا عربيا وعالميا وترجمت إلى كثير من اللغات الأجنبية، وأعتُبرت من بين أفضل مائة رواية عربية بحسب اتحاد كتاب العرب بدمشق، وحصلت على جوائز عديدة وجعلت بعض النقاد العرب – كالناقد المصري رجاء النقاش – يصفه بـ "عبقري الرواية العربية."

توفي الطيب صالح يوم 18 فبراير/شباط 2009 بلندن، حيث ظل فترة طويلة يرقد في مستشفياتها للعلاج بعد إصابته بفشل كلوي يستوجب عمليات غسيل للكلى ثلاث مرات في الأسبوع، وقد نُقِل جثمانه إلى السودان حيث دفن في العشرين من الشهر نفسه .

2 – تقديـــــم عام للرواية:

ظهرت رواية " موسم الهجرة إلى الشمال"، للمرّة الأولى سنة 1966 منشورة في مجلة الحوار ثمّ طُبعت في كتاب سنة 1967 « وأعيد نشرها في طبعة دار الهلال 1969م، وظهرت طبعة ثانية لدار العودة سنة 1972م، مع العلم بأنّ عدد الصفحات لهذه الطبعة لا تتجاوز مائة وإثنين وسبعين صفحة مقسّمةٌ إلى عشرة أقسام) «1.(

ولعلّ سرّ نجاحها وتفوقها، جاء نتيجة تناولها لموضوع الصراع الحضاري القائم بين الشرق والغرب بطريقة جديدة وعنيفة جدا وما يترتب عنهما من تمايز إثني وبيئي واختلاف ثقافي بينهما. فالطرح العنيف في هذه الرواية وصل حدّا جعلها تخالف غيرها من الروايات العربية الحضارية السابقة لها واللاحقة.

ولقد تناولت الرواية الحالة الاجتماعية للسودان خصوصا الريف السوداني وما فيه من مظاهر التخلّف مثل ما نجده عند الشيخ المزواج السبعيني "ود الريس" وعند " بنت مجذوب". وهي شخصيات نموذجية تعبّر رمزيا عن السودان القديمة بما تحمله من أفكار قديمة استغلالية للمرأة الريفية وعادات تزيد من عبودية المرأة وجهلها.

وحاولت الرواية بذكاء تصوير سيطرة العادات والتقاليد والأعراف في المجتمع الريفي، حيث تُعتبر السلطة الأبوية من أهمّ هذه العادات وأرسخها ذلك أنّ الآباء يفرضون على بناتهم الزواج من أشخاص غير راضين بهم دون الاهتمام برأي بناتهم ممّا يستدعي غياب حرية المرأة حتّى في تقرير مصيرها. ويتمثل هذا النموذج عند "حسنة بنت محمود" التي مات زوجها مصطفى سعيد أو اختفى في النهر فلم يظهر له أثر، وهي لديها منه ولدين، فرفضت الزواج من"ودّ الريس"، لكنّها أُرغمت على الزواج منه تحت ضغط إخوتها الّذين يرون أنّ المرأة لا تبقى وحدها دون رجل.

كما عالجت رواية " موسم الهجرة إلى الشمال" فكرة الصراع الحضاري القائم بين البيئة الشرقية العربية الإفريقية والبيئة الغربية الأوروبية المسيحية، وما يترتب عن هذا الصراع من اختلاف عرقي وديني وثقافي ومادي وروحي يؤدّي في غالب الأحيان إلى مواجهات عنيفة تنتهي بجرائم قتل فظيعة كتلك التي حدثت بين مصطفى سعيد وزوجته الإنكليزية جين موريس.

وتقوم البنية السردية لهذه الرواية على قصّتين متداخلتين تنطلقان من منطلق مكاني واحد، وهي القرية السودانية. وتتمثل هاتان القصّتان في:

– قصّة الراوي: وهي القصّة الإطار التي تؤطّر الرواية بكاملها من البداية حتّى النهاية، وتشمل كلّ الأحداث التي يرويها الرّاوي على لسانه.

– قصّة البطل مصطفى سعيد: وهي القصة المضمّنة داخل القصّة الإطار وتتناول مضمون الرواية وموضوعها، وتشمل الأحداث المهمة على لسان البطل.

مراجع المحاضرة:

1 – سمير روحي الفيصل، معجم الروائيين العرب، جروس يرس، طرابلس، لبنان ط1، 1995 .

2 – فوزية الصفار، أزمة الأجيال العربية المعاصرة، دراسة في موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح–، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله،تونس, د ط،د ت .

3 – محمد عزام – البطل الإشكالي في الرواية العربية المعاصرة – دار الأهالي – دمشق – ط1 – 1992.

4 – جورج طرابيشي – شرق وغرب، رجولة وأنوثة: دراسة في أزمة الجنس والحضارة في الرواية العربية – دار الآداب – بيروت – 1977.

5 – مجموعة من الكتاب العرب – الطيب صالح عبقري الرواية العربية – دار العودة – بيروت – الطبعة الثالثة – 1981.

المحاضرة 6: الفنون النثرية المعاصرة :

القصة القصيرة – زكريا تامر

يُعتبر الكاتب السوري زكريا تامر أحد أهم كُتّاب القصة القصيرة في العالم العربي واعتُبِرت قصته " النمور في اليوم العاشر" من بين أهم المحطات الرمزية السياسية في مسار القصة العربية. ولهذا سنتناول في هذه المحاضرة مسيرة زكريا تامر الأدبية من خلال بعضٍ من أهم قصصه القصيرة.

زكريا تامر

ولد زكريا تامر بدمشق عام 1931، واضطر الى ترك الدراسة عام 1944، وبدأ كتابة القصة عام 1958، وكتب ايضاً المقالة القصيرة الانتقادية وقصص الاطفال، ويقيم في بريطانيا منذ عام 1981.

ولى مناصب عدة منها على سبيل المثال رئيس تحرير لمجلة الموقف الادبي السورية، ومدير تحرير لمجلة الدستور بلندن، ومدير تحرير لمجلة الناقد، اضافة الى عمله كمحرر ثقافي لدى شركة رياض الريس للكتب والنشر بلندن. صدرت اولى مجموعاته عام 1960 وكانت بعنوان «صهيل الجواد الابيض». وتعتبر مجموعة النمور في اليوم العاشر من العلامات الكبرى في مسيرته القصصية

وقد أُعِدَّت عن قصصه دراسات ورسائل ماجستير ودكتوراه في العديد من الجامعات العربية والأوروبية.

كما ترجمت أعماله إلى اللغة الفرنسية والروسية والإنجليزية والألمانية والإيطالية والبلغارية، والإسبانية «كتابان» والصربية (ثلاثة كتب) .

كتب 27 قصة للأطفال تشرف في كتيبات مصورة وفي عام 1985 كان يعد صفحتين اسبوعيتين للاطفال في جريدة «القبس» الكويتية، وكذلك كان يقوم بالإشراف على صفحات الأطفال لمدة سنتين بجريدة «الأخبار» الأردنية، فضلا عن الزوايا الأسبوعية واليومية والشهرية في عدد من المجلات السورية والعربية بشكل عام.

ولقد ساهم زكريا تامر في تأسيس اتحاد الكتاب بسوريا في أواخر عام 1969 وكان رئيسا للجنة سيناريوهات افلام القطاع الخاص في مؤسسة السينما في سوريا. شارك في مؤتمرات وندوات عقدت في بقاع شتى من العالم. وكان رئيسا للجنة التحكيم في المسابقة القصصية التي اجرتها جريدة « تشرين » السورية عام 1981، والمسابقة التي اجرتها جامعة اللاذقية عام 1979، وكان عضوا بلجنة المسابقة القصصية بمجلة «التضامن» بلندن واخيرا صدر له في الشهر الماضي مجموعة قصصية جديدة بعنوان «تكسير ركب».

. الوظائف التي عمل بها خلال حياته:

. عمل في مهن يدوية عديدة.

. عمل في مديرية التأليف والنشر في وزارة الثقافة السورية.

. عمل رئيس تحرير الجريدة الاسبوعية (الموقف العربي) السورية.

. كاتب نصوص في تلفزيون جدة في السعودية.

. عمل في وزارة الإعلام السورية.

. رئيس تحرير مجلة (رافع) للأطفال السورية.

. رئيس تحرير مجلة (الموقف الأدبي) السورية.

. رئيس تحرير مجلة (اسامة) للأطفال السورية .

. مدير تحرير مجلة (الدستور) لندن.

. محرر ثقافي في مجلة (التضامن) بلندن.

. مدير تحرير مجلة (الناقد) ومحرر ثقافي لدى شركة رياض الريس للكتب والنشر بلندن.

أهم المؤلفات :

. صهيل الجواد الابيض: (قصص) 1960م.

. ربيع في الرماد (قصص) 1963م.

. الرعد: (قصص) 1970م.

. دمشق الحرائق: (قصص) 1973م.

. لماذا سكت النهر: (53 قصة للاطفال) 1973م.

. النمور في اليوم العاشر: (قصص) 1978م.

. قالت الوردة للسنونو: (18 قصة للاطفال) 1978م.

. نداء نوح: (قصص) 1994م.

. سنضحك: (قصص) 1998م.

. أف! : (مختارات قصصية) 1998م.

. الحصرم: (قصص) 2000م.

. 37 قصة للاطفال نشرت في كتيبات مصورة 2000م .

وهذه بعض النماذج من قصصه:

النموذج الأول : الصفقة

بلغ الجنين من العمر تسعة أشهر، وحان وقت خروجه من بطن أمه إلى العالم كي يظفر باسم وحارة ومدينة ووطن وأهل وأصدقاء، ولكنه لم يصدر عنه ما ينم عن عزمه على مغادرة بطن أمه الذي يقيم به، فقالت له أمه متسائلة بغيظ وسخرية: " إلى متى ستبقى في بطني؟ هل تنتظر حتى تصبح رجلاً ذا شاربين؟ ينبغي لك أن تشفق علي فقد صرت ثقيل الوزن الى حد أني بت لا أستطيع المشي."

قال الجنين: "أنا لا أحب السير في الظلام، ولن أغادر بطنك إلا إذا عرفت أولاً أي نوع من الحياة ينتظرني في العالم الذي سأصبح واحداً من أفراده."

فكرت الأم قليلاً، ثم قالت لجنينها: "أتريد كذباً يخدعك ويسعدك أم تريد صدقاً يقول لك الحقيقية ويشقيك؟"

قال الجنين فوراً: "أريد الصدق وحده ولا سيما أن الصدق ينجي والكذب يردي."

قالت الأم: " إذن أنصت لما سأقوله."

قال الجنين: "قولي ما تشائين، فكلي آذان صاغية."

قالت الأم: " العالم الذي ستحي فيه معتوه فظ قاس لا يرحم ولا يشفق."

قال الجنين: "ما من قوي إلا وفوقه من هو أقوى منه، وما من قاتل نجا من قاتل آخر أهرق دمه."

قالت الأم: "ستزرع الورد ولكنك لن تقطف سوى الشوك وحده."

قال الجنين:"لن أزرع إلا الشوك كي أقطف الورد."

قالت الأم: " من السهل أن تحزن والمن الصعب أن تفرح."

قال الجنين: " لن أحزن ولن أفرح."

قالت الأم: "ستحلم وتتمنى وتحب، فلا تحصد إلا الخيبات وموت الأحلام والآمال."

قال الجنين: "سأعرف متى أتكلم ومتى أصمت، وسيندم غيري."

قالت الأم: " الشجرة ذات الثمار الطيبة محكوم عليها بالهلاك بسبب طيب ثمرها."

قال الجنين: " لن أكون شجرة بل سأكون فأساً."

قالت الأم : " الأنهار تظل عذبة الماء حتى تصب في البحار المالحة، والأنهار أقلية والبحار أغلبية."

قال الجنين: "بحر كبير مالح خير من نهر صغير عذب المياه."

قالت الأم: " العلم في الصغر كالنقش في الحجر."

قال الجنين: " لا فائدة في العلم، لا في الصغر ولا في الكبر."

قالت الأم: " واجب العاقل إصلاح عيوب نفسه قبل انتقاد عيوب الآخرين."

قال الجنين:" عيوبي محاسن يليق بها الثناء، وفضائل الآخرين عيوب شائنة."

قالت الأم: " قد تضطر في أحيان كثيرة إلى أن تغضب، والغضب من شيم الحمقى."

قال الجنين:" أن أغضب ويقال عليّ إني أحمق أفضل من أصبح طعاماً لكل الأفواه."

قالت الأم: " من افتقر قلبه لم ينفعه غناه."

قالت الجنين:" هذا كلام لا يؤبه له، وأزدري قائله الذي لا بد من أنه كان فقيراً يوشك أن يموت جوعاً، ويده قصيرة وعينه بصيرة."

قالت الأم:" ستلتقي أناساً يدفنون الحسنة ويظهرون السيئة."

قال الجنين:" الكلب إذا أكل وشبع كثر نباحه."

قالت الأم: "وقد تفقد أصدقاءك صديقاً بعد صديق، ولا غم يشابه غم فقد الأصدقاء."

قال الجنين: " الأصدقاء هم أصدقاء في أيام الرخاء وأعداء في أيام البلاء."

قالت الأم: "اللئام كثيرون، واللئيم كالحية لا يوجد عندها إلا السم."

قال الجنين:" لن أكون كالطبيب الذي يشرب السم اتكالاً على ما لديه من أدوية."

قالت الأم: " تنبه الى أن الغالب بالشر مغلوب."

قال الجنين:" الماء مهما سخن يطفئ النار إذا صب عليها."

قالت الأم: "لا نفع في لؤلؤ لا يخرج من بحره."

قال الجنين:"من طمع في امتلاك اللؤلؤ، فليدفع الثمن للبحر."

قالت الأم:"سعادة المرء أن يكون رزقه في بلده."

قال الجنين:"سعادة المرء أن يكون رزقه من غير تعب."

فصاحت الأم بنزق:"إذا كانت لك هذه الآراء، فما مبرر بقائك في بطني؟"

قال الجنين:"أنا أنتظر أن تطلقي أبي الفقير وتتزوجي من آخر ذي ثراء وجاه ونفوذ."

فركضت الأم إلى أقرب مستشفى مشمئزة مستغيثة.

النموذج الثاني : انتظار امرأة - قصة قصيرة جداً

ولد فارس المواز بغير رأس، فبكت أمّه، وشهق الطبيب مذعورًا، والتصق أبوه بالحائط خجلاً، وتشتَّتت الممرضات في أروقة المستشفى .

ولم يمت فارس كما توقع الأطباء، وعاش حياة طويلة، لا يرى ولا يسمع ولا يتكلم ولا يتذمر ولا يشتغل. فحسده كثيرون من الناس، وقالوا عليه إنّه ربح أكثر مما خسر .

ولم يكفّ فارس عن انتظار امرأة تولد بغير رأس حتى يتلاقيا وينتجا نوعًا جديدًا من البشر آملاً ألاّ يطول انتظاره.

النموذج الثالث : النمور في اليوم العاشر

رحلت الغابات بعيداً عن النمر السجين في قفص، ولكنه لم يستطع نسيانه، وحدق غاضباً إلى رجال يتحلقون حول قفصه وأعينهم تتأمله بفضول ودونما خوف وكان أحدهم يتكلم بصوت هادئ ذي نبرة آمرة: إذا أردتم حقاً أن تتعلموا مهنتي، مهنة الترويض، عليكم ألا تنسوا في أي لحظة أن معدة خصمكم هدفكم الأول، وسترون أنها مهمة صعبة وسهلة في آن واحد.

انظروا الآن إلى هذا النمر: إنه نمر شرس متعجرف، شديد الفخر بحريته وقوته وبطشه، ولكنه سيتغير ويصبح وديعاً ومطيعاً كطفل صغير.. فراقبوا ما سيجري بين من يملك الطعام وبين من لا يملكه، وتعلموا.

فبادر الرجال إلى القول إنهم سيكونون التلاميذ المخلصين لمهنة الترويض.

فابتسم المروض مبتهجا، ثم خاطب النمر متسائلا بلهجة ساخرة: كيف حال ضيفنا العزيز؟ قال النمر: أحضر لي ما آكله، فقد حان وقت طعامي.

فقال المروض بدهشة مصطنعة: أتأمرني وأنت سجيني؟ يا لك من نمر مضحك!! عليك أن تدرك أني الوحيد الذي يحق له هنا إصدار الأوامر. قال النمر: لا أحد يأمر النمور.

قال المروض: ولكنك الآن لست نمراً.

أنت في الغابات نمر. وقد صرت في القفص، فأنت الآن مجرد عبد تمتثل للأوامر وتفعل ما أشاء.

قال النمر بنزق: لن أكون عبداً لأحد.

قال المروض: أنت مرغم على إطاعتي؛ لأني أنا الذي أملك الطعام.

قال النمر: لا أريد طعامك.

قال المروض: إذن جع كما تشاء، فلن أرغمك على فعل ما لا ترغب فيه.

وأضاف مخاطباً تلاميذه: سترون كيف سيتبدل؛ فالرأس المرفوع لا يشبع معدة جائعة.

وجاع النمر، وتذكر بأسى أيامًا كان فيها ينطلق كريح دون قيود مطارداً فرائسه.

وفي اليوم الثاني أحاط المروض وتلاميذه بقفص النمر، وقال المروض: ألست جائعاً؟ أنت بالتأكيد جائع جوعاً يعذب ويؤلم.. قل إنك جائع فتحصل على ما تبغي من اللحم.

ظل النمر ساكتاً، فقال المروض له: افعل ما أقول ولا تكن أحمقا. اعترف بأنك جائع فتشبع فوراً .

– قال النمر: أنا جائع.

فضحك المروض وقال لتلاميذه : ها هو ذا قد سقط في فخ لن ينجو منه.

وأصدر أوامره، فظفر النمر بلحم كثير.

وفي اليوم الثالث قال المروض للنمر: إذا أردت اليوم أن تنال طعاماً، فنفذ ما سأطلب منك.

قال النمر: لن أطيعك. – قال المروض: لا تكن متسرعاً، فطلبي بسيط جداً.

أنت الآن تحوم في قفصك، وحين أقول لك: قف، فعليك أن تقف.

قال النمر لنفسه: إنه فعلاً طلب تافه، ولا يستحق أن أكون عنيداً وأجوع.

وصاح المروض بلهجة قاسية آمرة: قف.

فتجمد النمر تواً، وقال المروض بصوت مرح: أحسنت.

فسُرَّ النمر، وأكل بنهم، بينما كان المروض يقول لتلاميذه: سيصبح بعد أيام نمراً من ورق.

وفي اليوم الرابع، قال النمر للمروض: أنا جائع فاطلب مني أن أقف.

فقال المروض لتلاميذه: ها هو ذا قد بدأ يحب أوامري.

ثم تابع موجهاً كلامه إلى النمر: لن تأكل اليوم إلا إذا قلدت مواء القطط.

وقلد مواء القطط، فعبس المروض، وقال باستنكار: تقليدك فاشل.

هل تعد الزمجرة مواء. فقلد النمر ثانية مواء القطط، ولكن المروض ظل متهجم الوجه، وقال بازدراء: اسكت.. اسكت.. تقليدك ما زال فاشلاً.

سأتركك اليوم تتدرب على مواء القطط، وغداً سأمتحنك. فإذا نجحت أكلت أما إذا لم تنجح فلن تأكل. وابتعد المروض عن قفص النمر وهو يمشي بخطى متباطئة، وتبعه تلاميذه وهم يتهامسون متضاحكين.

ونادى النمر الغابات بضراعة، ولكنها كانت نائية.

وفي اليوم الخامس، قال المروض للنمر: هيا، إذا قلّدت مواء القطط بنجاح نلت قطعة كبيرة من اللحم الطازج .

قلد النمر مواء القطط، فصفق المروض، وقال بغبطة: عظيم! أنت تموء كقط في شباط.

ورمى إليه بقطعة كبيرة من اللحم.

وفي اليوم السادس، وما إن اقترب المروض من النمر حتى سارع النمر إلى تقليد مواء القطط، ولكن المروض ظل واجمًا مقطب الجبين، فقال النمر: ها أنا قد قلدت مواء القطط.

قال المروض: قلد نهيق الحمار.

قال النمر باستياء: أنا النمر الذي تخشاه حيوانات الغابات، أُقلد الحمار؟ سأموت ولن أنفذ طلبك!

فابتعد المروض عن قفص النمر دون أن يتفوه بكلمة.

وفي اليوم السابع، أقبل المروض نحو قفص النمر باسم الوجه وديعا، وقال للنمر: ألا تريد أن تأكل؟

قال النمر: أُريد أن آكل.

قال المروض: اللحم الذي ستأكله له ثمن، انهق كالحمار تحصل على الطعام.

فحاول النمر أن يتذكر الغابات، فأخفق، واندفع ينهق مغمض العينين، فقال المروض: نهيقك ليس ناجحاً، ولكني سأعطيك قطعة من اللحم إشفاقاً عليك.

وفي اليوم الثامن، قال المروض: سألقي مطلع خطبة، وحين سأنتهي صفق إعجاباً. – قال النمر: سأصفق.

فابتدأ المروض إلقاء خطبته، فقال: "أيها المواطنون.. سبق لنا في مناسبات عديدة أن أوضحنا موقفنا من كل القضايا المصيرية، وهذا الموقف الحازم الصريح لن يتبدل مهما تآمرت القوى المعادية، وبالإيمان سننتصر. "

قال النمر: لم أفهم ما قلت.

قال المروض: عليك أن تعجب بكل ما أقول، وأن تصفق إعجاباً به.

قال النمر: سامحني أنا جاهل أُميٌّ وكلامك رائع وسأصفق كما تبغي.

وصفق النمر فقال المروض: أنا لا أحب النفاق والمنافقين ستحرم اليوم من الطعام عقاباً لك. وفي اليوم التاسع جاء المروض حاملاً حزمة من الحشائش، وألقى بها للنمر، وقال: كل، قال النمر: ما هذا؟ أنا من آكلي اللحوم.

قال المروض: منذ اليوم لن تأكل سوى الحشائش.

ولما اشتد جوع النمر حاول أن يأكل الحشائش فصدمه طعمها، وابتعد عنها مشمئزاً، ولكنه عاد إليها ثانية، وابتدأ يستسيغ طعمها رويداً رويداً.

وفي اليوم العاشر اختفى المروض وتلاميذه والنمر والقفص؛ فصار النمر مواطناً، والقفص مدينة.

تحليل للقصة :

يقدم لنا الكاتب في قصته " النمور في اليوم العاشر" علاقة النمر بالمروِّض ضمن مكان مغلق هو القفص، ليرمز من خلالها إلى علاقة المواطن (الشعب) بالسلطة داخل مكان مغلق هو الوطن. وتعتمد هذه العلاقة على ترويض النمر عن طريق الجوع ليصبح من آكل للحم شامخ إلى آكل للعشب ذليل يصفق لخطابات المروض دون أن يفهمها. وهنا تعني رمزيا ترويض السلطة الحاكمة لشعوبها عن طريق التلاعب بغريزة الجوع ليصبح خاضعين لها لا يملكون رأيا أو تفكيرا مستقلا واعيا يصفقون لخطاباتها دون فهم. ولهذا فالنمر يرمز للمواطن والمروض للحاكم والقفص للمدينة والأيام العشر

من الترويض للمرحلة الزمنية التي تستمر لترويض المواطن أو الشعوب وقد تمتد لسنوات أو عقود.

وحتى في قصة النمور في اليوم العاشر، يخبرنا الأديب زكريا تامر بهذه القاعدة :إ نّ غريزة البقاء قادرة على تغيير طبيعة الكائنات.

وتقوم بالأدوار الأساسية شخصيتان رئيستان ووحيدتان المروض من جهة والنمر من جهة الأخرى، إلى جانب المتابعين لما يدور بينهما، هم تلاميذ المروض.

يتصف النمر في بداية القصة بالقوة والأنفة وحب الحرية، أما المروض بالدهاء والقدرة على المراوغة والمساومة.

لا بد من الرجوع إلى طبيعة الحوار الذي دار بين الشخصيتين على امتداد القصة كي نعرف أنه اتخذ صيغة المساومة بين المروض والنمر، مما أسدى عليه طابعا إنسانيا، جعلنا ننتهج التأويل الرمزي لأحداثها المقتضبة وللحوار الذي أسس بنيتها، حتى نكتشف معانيها الخفية.

إذ، تحيلنا تلك المساومة وما تفترضه من أخذ وعطاء إلى خصائص الإنسان، بوصفه الكائن الذي يستعمل اللغة للتواصل مع غيره، خلافا للكائنات الأخرى، كما قال أرسطو " الإنسان حيوان ناطق "، و هو المدرك للزمن أي الحاضر والماضي والمستقبل، بالتالي تقوم علاقته مع غيره في الغالب على المبادلات والمصالح لتنتهي بالتفاو.

ويمتلك النمر تلك الخصائص، بما أنه شخصية ناطقة، لها تصور معين لوضعيتها ولطبيعتها وللزمن الذي تعيشه، وبالتالي فاكتسابه لقدرات إنسانية، يجعلنا

نعيد النظر في معاني الحوار ومغزى القصة، بطرح الأسئلة التالية : هل يولد الإنسان حرا، مكتفيا بنفسه، أبيا، مستقلا فتجبره السلطة السياسية على الطاعة والخنوع وخشية الغير، لأنها ترى فيه الوحش الذي يهددها ؟ أ لذلك تقمصت الشخصية الأولى دور النمر رغم ما تمتلكه من صفات إنسانية، بينما احتفظ المروض (الشخصية الثانية)بإنسانيته، هل لأنه كان يعتبر أخاه الإنسان شبيها بالحيوان المتوحش، الرافض للمدنية، أي للسياسة، وتحديدا للسلطة التي كان يمثلها بوصفه من يمتلك الغذاء؟

يجيبنا الكاتب في خاتمة القصة، أنّ النمر هو المواطن الذي أُجبر على قبول عقد المدنية، أي العيش تحت ظل سلطة ما انفكت تساومه حتى لا يثور ضدها، فتطالبه بالتصفيق لها، دون أن يفهم خطابها، إذ كان هدفها الأساسي من ترويضه التدريجي أن يستغني عن طبيعته الاصلية.

فهل يسعى الأديب زكريا تامر، أن يقنعنا بخلاف ما ذهب إليه ابن خلدون، من أن" الإنسان مدني بالطبع، معتبرا العيش المشترك بين الناس وحاجتهم إلى السياسة أي إلى المدنية، هي التي تفقد الانسان حريته وأنفته وعزته واستقلاليته وخاصة كرامته لتضعه في قفص؟

قد يكون الأمر كذلك، إذا ما اقتصر الفعل السياسي على ترويض الإنسان واستلاب وعيه ومساومته بإجباره على الطاعة، مقابل حصوله على لقمة العيش، بالتنكر لإنسانيته وعدم احترام حريته وكرامته حسب أحداث القصة.

المحاضرة 7: الفن القصصي الأعلام والاتجاهات:

إبراهيم الكوني

إبراهيم الكوني كاتب ليبي طارقي يؤلف في القصة والرواية والدرسات الأدبية والنقدية واللغوية والتاريخ والسياسة. اختارته مجلة لير (LIRE) الفرنسية كأحد أبرز خمسين روائيا عالميا معاصرا، ووضع السويسريون اسمه في كتاب يخلد أبرز الشخصيات التي تقيم على أراضيهم وهو الأمازيغي الوحيد لا بل الوحيد أيضا من العالم الثالث في هذا الكتاب، ورئيس سويسرا اصطحبه معه في واحدة من أبرز المحطات الثقافية، حيث كان أول أجنبي يختار عضو شرف في وفد يرأسه الرئيس السويسري سنة 1998 م عندما كانت سويسرا ضيف شرف في معرض فرانكفورت الدولي للكتاب في عيده اليوبيل الخمسين، العيد الذهبي. وقد ألف أكثر من 77 كتابا، وترجمت كتبه إلى لغات العالم الحية أي حوالي 40 لغة .

سيرته

ولد إبراهيم الكوني بغدامس في ليبيا عام 1948م، وأنهى دراسته الإعدادية والثانوية في الجنوب الليبي، وبعد دراسة أدبية في بلاده، قصد معهد غوركي للآدب بموسكو، حيث حصل على الليسانس ثم الماجستير في العلوم الأدبيّة والنقدية عام 1977 م .

وظائف ومناصب تقلدها

عمل إبراهيم الكوني في وظائف صحفية ودبلوماسية عديدة حيث كان مستشارا دبلوماسيا في السفارات الليبية في روسيا وبولندا وسويسرا وتولى رئاسة تحرير مجلة الصداقة الليبية البولندية وكان مراسلا لوكالة الأنباء الليبية في موسكو ومندوبا لجمعية الصداقة الليبية البولندية [1] وتولى منصب في وزارة الشئون الاجتماعية في سبها ثم وزارة الإعلام والثقافة.

أسلوبه الأدبي

عندما كان إبراهيم الكوني يدرس في معهد غوركي للآداب في بدايات السبعينات كانت النظرية السائدة هي أن الرواية عمل مدني، وهذه نظرية جورج لوكاتش، وحسب النظرية لا يمكن أن تكون الرواية خارج المدينة، وقد تمكن إبراهيم الكوني من قلب هذه النظرية؛ لينتج روايات متعددة الأجزاء عن الصحراء. ويقوم عمله الروائي على عالم الصحراء بما فيه من ندرة وقسوة وانفتاح على جوهر الكون، وتدور معظم رواياته حول العلاقة الجوهرية التي تربط الإنسان بالطبيعة الصحراوية وموجوداتها وعالمها المحكوم بالحتمية والقدر الذي لا يرد .

أهم أعماله بيان في لغة اللاهوت (موسوعة البيان)

أدرك إبراهيم الكوني أن إتقان اللغات ضروري لفهم اللغة الأم القديمة فتعمق في دراسة لغات عديدة وتبحر في التاريخ وخصوصا تاريخ الديانات والأدب والفلسفات، وتعلم لغات عديدة، حيث يجيد تسع لغات، وألف سلسلة كتب بعنوان "بيان في لغة اللاهوت (موسوعة البيان)"، ويرى أنّ هذه السلسلة لو ترجمت إلى لغات حية غير العربية، لأحدثت ثورة كبيرة، والسبب في عدم ترجمتها أن الذين يعرفون اللغة العربية لا يعرفون الفلسفة ولا يعرفون اللغات الأخرى السومرية واليونانية القديمة، وأولئك الذين يعرفون هذه الفلسفات لا يعرفون اللغة العربية. وتتناول هذه السلسلة موضوعات وجودية أساسية تتمثل في اللغة البدئية التي انبثقت منها اللغات، والحضارة الأولى التي انبثقت منها حضارات العالم .

وما يهمنا هنا هو قصصه حيث ألّف في بدايات إنتاجه الأدبي قصصا قصيرة كثيرة وموحية جدا ونذكر هنا أهم **مجموعاته القصصية** وهي :

- –الصلاة خارج نطاق الأوقات الخمسة (قصص ليبية) 1974 م.
- –جرعة من دم (قصص) 1993 م.
- –شجرة الرتم (قصص) 1986 م.
- –القفص (قصص) 1990 م.
- –ديوان النثر البري (قصص) 1991 م.
- –وطن الرؤى السماوية (قصص) 1991 م.
- –الخروج الأول إلى وطن الرؤى السماوية (مختارات قصصية) 1991 م.

- –الربة الحجرية ونصوص أخرى؛ الوقائع المفقودة من سيرة المجوس (قصص) 1992 م .

الجـوائـز

حاز إبراهيم الكوني على 15 جائزة دولية لم يفز بها كاتب عربي على الإطلاق [5]، منها:

- –جائزة الدولة السويسرية، على رواية " نزيف الحجر" 1995 م.
- –جائزة الدولة في ليبيا، على مجمل الأعمال 1996 م.
- –جائزة اللجنة اليابانية للترجمة، على رواية " التبر" 1997 م.
- –جائزة الدولة السويسرية على رواية المجوس 2001 م.
- –جائزة التضامن الفرنسية مع الشعوب الأجنبية، على رواية " واو الصغرى" 2002 م.
- –جائزة الدولة السويسرية الاستثنائية الكبرى، على مجمل الأعمال المترجمة إلى الألمانية،2005.
- –جائزة الرواية العربية (المغرب)، 2005 م.
- –جائزة رواية الصحراء (جامعة سبها – ليبيا) 2005 م.
- –جائزة محمد زفزاف للرواية العربية 2005 م.
- –وسام الفروسية الفرنسي للفنون والآداب 2006 م.

- –جائزة (الكلمة الذهبية) من اللجنة الفرنكفونية التابعة لليونسكو.
- –جائزة الشيخ زايد للكتاب فرع الآداب في دورتها الثانية 2007–2008 م على رواية " نداء ما كان بعيدا."
- –جائزة ملتقى القاهرة الدولي الخامس للإبداع الروائي العربي 2010 م.
- –جائزة الترجمة الوطنية الأمريكية على رواية واو الصغرى 2015 م.

مؤلفاته

- –ثورات الصحراء الكبرى 1970 م.
- –نقد ندوة الفكر الثوري 1970 م.
- –الصلاة خارج نطاق الأوقات الخمسة (قصص ليبية) 1974 م.
- –ملاحظات على جبين الغربة (مقالات) 1974 م.
- –جرعة من دم (قصص) 1993 م.
- –شجرة الرتم (قصص) 1986 م.
- –رباعية الخسوف (رواية) 1989 م:
- –الجزء الأول : البئر.
- –الجزء الثاني : الواحة.
- –الجزء الثالث : أخبار الطوفان الثاني.

- –الجزء الرابع : نداء الوقواق.
- –التبر (رواية) 1990 م.
- –نزيف الحجر (رواية) 1990 م.
- –القفص (قصص) 1990 م.
- –المجوس (رواية):
- –الجزء الأول 1990 م.
- –الجزء الثاني 1991 م.
- –ديوان النثر البري (قصص) 1991 م.
- –وطن الرؤى السماوية (قصص) 1991 م.
- –الخروج الأول إلى وطن الرؤى السماوية (مختارات قصصية) 1991 م.
- –الربة الحجرية ونصوص أخرى؛ الوقائع المفقودة من سيرة المجوس (قصص) 1992 م .
- –خريف الدرويش (رواية – قصص – أساطير) 1994 م.
- –الفم (رواية) 1994 م.
- –السحرة (رواية):
- –الجزء الأول : 1994 م.

- –الجزء الثاني :1995 م.
- –فتنة الزؤان، الرواية الأولى من ثنائية خضراء الدمن 1995 م.
- –بر الخيتعور (رواية) 1997 م.
- –واو الصغرى (رواية) 1997 م.
- –عشب الليل (رواية)1997 م.
- –الدمية (رواية) 1998 م.
- –صحرائي الكبرى (نصوص) 1998 م.
- –الفزاعة (رواية) 1998 م.
- –الناموس:
- –الناموس (الجزء الأول) 1998 م.
- –في طلب الناموس المفقود (الجزء الثاني) 1999 م.
- –أمثال الزمان (الجزء الثالث) 1999 م.
- –سأسر بأمري لخلاني الفصول (ملحمة روائية) 1999 م:
- –الجزء الأول : الشرخ.
- –الجزء الثاني : البلبال.
- –الجزء الثالث :برق الخلب.

- –وصايا الزمان (نصوص)1999 م.
- –نصوص الخلق (نصوص) 1999 م.
- –ديوان البر والبحر (نصوص) 1999 م.
- –الدنيا أيام ثلاثة (رواية) 2000 م.
- –نزيف الروح (نصوص) 2000 م.
- –أبيات (نصوص) 2000 م.
- –بيت في الدنيا وبيت في الحنين (رواية) 2000 م.
- –رسالة الروح (نصوص) 2001 م.
- –بيان في لغة اللاهوت، لغز الطوارق يكشف لغزَي الفراعنة وسومر (موسوعة البيان) 2001 م:
- –بيان في لغة اللاهوت (موسوعة البيان) جزء 1 أوطان الأرباب 2001 م.
- –بيان في لغة اللاهوت (موسوعة البيان) جزء 2 أوطان الأرباب 2001 م.
- –بيان في لغة اللاهوت (موسوعة البيان) جزء 3 أوطان الأرباب 2001 م.
- –بيان في لغة اللاهوت (موسوعة البيان) جزء 4 (المقدمة في ناموس العقل البدئي).
- –ملحمة المفاهيم لغز الطوارق يكشف لغزي الفراعنة وسومر:

- –ملحمة المفاهيم لغز الطوارق يكشف لغزي الفراعنة وسومر جزء 1 (موسوعة البيان) جزء 5، 2003 م.
- –ملحمة المفاهيم لغز الطوارق يكشف لغزي الفراعنة وسومر جزء 2 (موسوعة البيان) جزء 6، 2005 م.
- –ملحمة المفاهيم لغز الطوارق يكشف لغزي الفراعنة وسومر جزء 3 (موسوعة البيان) جزء 7، 2006 م.
- –منازل الحقيقة 2003 م.
- –أسطورة حبّ إلى سويسرا 2003 م.
- –لحون في مديح مولانا الماء 2002 م.
- –البحث عن المكان الضائع (رواية) 2003 م.
- –أنوبيس (رواية) 2002 م.
- –الصحف الأولى (أساطير ومتون) 2004 م.
- –مراثي أوليس (رواية) 2004 م.
- –صحف إبراهيم (متون) 2005 م.
- –المحدود واللامحدود (متون) 2002 م.
- –ملكوت طفلة الربّ (رواية) 2005 م.

- –لون اللعنة (رواية) 2005 م.
- –هكذا تأمّلت الكاهنة ميم (متون) 2006 م.
- –نداء ما كان بعيداً (رواية) 2006 م.
- –في مكانٍ نسكنه..في زمانٍ سيكننا (رواية) 2006 م.
- –يعقوب وأبناؤه (رواية) 2007 م
- –قابيل .. أين أخوك هابيل ؟! (رواية) 2007 م.
- –الورم (رواية) 2008 م.
- –يوسف بلا إخوته (رواية) 2008 م.
- –من أنت أيها الملاك ؟ (رواية) 2009 م.
- –رسول السماوات السبع (رواية) 2009 م.
- –وطني صحراءٌ كبرى (متون) 2010 م.
- –جنوب غرب طروادة جنوب شرق قرطاجة (رواية) 2011 م.
- –فرسان الأحلام القتيلة (رواية) 2012 م.
- –ثوبٌ لم يدنَّس بسمّ الخِياط (متون) 2012 م.
- –عدوس السُّرَى (مذكّرات):
- –الجزء الأول: 2012 م.

- –الجزء الثاني: 2013 م.
- –الجزء الثالث: 2014 م.
- –ناقة الله (رواية) 2015 م.
- أهل السُّرّى (سيرة روائية) 2016م.
- معزوفة الأوتار المزمومة (سيرة روائية) 2016م.

المحاضرة 8:

الرواية العربية المعاصرة وأعلامها:

عبد الحميد بن هدوقة

لقد أصبحت الرواية الجنس الأدبي الأكثر انتشارا وهيمنة بين الأجناس الأدبية المعاصرة في العالم، والأكثر تعبيرا عن اهتمامات المجتمعات وطموحاتها، بل وتبوّأت مكانة الشعر في القديم لتصبح الرواية الآن هي ديوان الشعوب.

وقد واكبت الرواية العربية هذا الانتشار والهيمنة للرواية العالمية، فجاءت أوّل رواية عربية ناضجة فنيّا سنة 1914م، وهي رواية " زينب " لمحمد حسين هيكل. وتوالت بعدها الروايات العربية في المشرق العربي تباعا من حيث الكمّ والكيف، ووصلت إلى درجة من النضج والعالمية أن تُوّجت بجائزة نوبل للآداب الممنوحة للروائي العربي المصري نجيب محفوظ سنة 1988.

أمّا في أقطار المغرب العربي، فقد تأخّرت الرواية المغاربية نسبيّا في الظهور للعلن عن مثيلتها المشرقية، نظرا لوقوع البلدان المغاربية – في بداية القرن العشرين – تحت وطأة الاستعمار الغربي بوجوهه الثلاثة: الإيطالي والإسباني، والفرنسي على وجه الخصوص. هذا الأخير الذي حاول طمس الهوية العربية الإسلامية للمغاربيين عامة والجزائريين خاصّة إلى درجة كاد يمحي لغتهم العربية.

وبالرّغم من ذلك، استطاعت الرواية المغاربية المكتوبة بالعربية الوقوف على قدميها في فترة وجيزة، مؤكّدة وعيها وحضورها ونضجها الفنّي، بل وفتحت آفاقا جديدة وغير مسبوقة في تناولها لموضوعات عذراء ضمن بيئة ومناخ مختلفين عن مثيليهما في المشرق.

يُضاف إلى ذلك، خصوصيات الرواية المغاربية من حيث الأسلوب والمواضيع، ما جعلها تتبوّأ مكانة مميّزة في الأدب العربي المعاصر، بل والأدب العالمي. ولا أدلّ على ذلك، المكانة المرموقة التي يحتلّها بعض الروائيين المغاربيين ضمن الرواية العالمية، حيث صنّفت المجلّة الأدبية الفرنسية المشهورة (LIRE) الروائي الليبي إبراهيم الكوني ضمن خمسين (50) روائيا عالميا يمثّلون أدب القرن الواحد والعشرين. هذا الروائي الليبي الأكثر تتويجا بالجوائز الأدبية العربية والعالمية.

ومع انّ الرواية الجزائرية تأخرت في الظهور عن مثيلتيها التونسية والمغربية إلاّ أنّها استطاعت أن ترسّخ قدمها، وتصل إلى العالمية عن طريق روائيين تركوا بصمات في الأدب العربي وترجمت أعمالهم إلى لغات عالمية عديدة، نذكر منهم على سبيل المثال الروائي واسيني الأعرج والروائي الطاهر وطار وأحلام مستغانمي وغيرهم.

ولكن هؤلاء الروائيون الجزائريون لم يأتوا من العدم بل سبقهم آخرون أعطوا للرواية الجزائرية سماتها الخاصة التي تتميّز بها الآن ولعل من أبرزهم وأهمهم هو الروائي عبد الحميد بن هدوقة.

عبد الحميد بن هدوقة:

ولد عبد الحميد بن هدوقة في 09 جانفي 1925 بقرية الحمراء التابعة لمنصورة بولاية برج بوعريرج 200 كلم شرق الجزائر العاصمة.

نشأ عبد الحميد بن هدوقة في عائلة اشتهرت بالعلم في كامل المنطقة حيث كان والده الذي تلقى العلم في جامعة القرويين بفاس بالمغرب، فقيها ومعلما درّس القرآن وأصول الفقه والأدب واللغة في مختلف قرى المنطقة بين برج بوعريرج والمسيلة وغيرها.

يقول عبد الحميد بن هدوقة إنّ طفولة الجزائريين الذين ولدوا بين الحربين العالميتين " كانت طفولة صعبة يميزها واقع مؤلم ويطبعها البؤس والتعاسة، خصوصا في الأرياف". غير أنه يعتبر نفسه أسعد حظا مقارنة بنظرائه الآخرين لأنه نشأ في عائلة مثقفة نسبيا مقارنة بالوضع السائد في تلك الفترة. وكان لأبيه " تكوينا يشابه تكوين أعضاء جمعية العلماء المسلمين وإن لم ينتسب إليها".

خلال صباه، التحق عبد الحميد بن هدوقة بالمدرسة الفرنسية الموجودة في المنصورة. وبالإضافة إلى تمدرسه كان يحفظ القرآن الكريم وأصول الفقه بالإضافة إلى قصص ألف ليلة وليلة وسيرة بني هلال وألفية بن مالك وغيرها من الكتب.

واصل دراسته المتوسطة في ولاية قسنطينة، ثم سافر إلى مرسيليا في العام 1949 لإكمال دراسته العالية في مجال الإخراج الإذاعي، وبعد عودته عمل مدرسا في مدينة قسنطينة لعام واحد، غادر بعدها إلى تونس تحت ضغط سلطة الاحتلال

الفرنسي بسبب نشاطه المناوئ حيث مكث فيها أربع سنوات، نال خلالها الشهادة في الأدب من جامعة الزيتونة، وشهادة التمثيل العربي من معهد فنون الدراما في تونس.

وفي 21 أكتوبر 1996، وبعد مقاومته لمرض عضال ألزمه الفراش لحوالي أربعة أشهر بمستشفى مصطفى باشا، يرحل عبد الحميد بن هدوقة عن عمر يناهز ال 71 عام، تاركا وراءه إرثا ثقافيا وفنيا وفكريا معتبرا، وأصبح أحد الأدباء الكلاسيكيين للجزائر.

الأعمال الأدبية لعبد الحميد بن هدوقة الحميد بن هدوقة:

بدأ الكتابة في الخمسينات وكان عمله الأول ديوانا شعريا بعنوان " حامل الأزهار" نشر في عام 1952. بعد استقلال الجزائر عمل مديرا للبرامج في هيئة الإذاعة والتلفزيون الجزائرية

بطلب من الحكومة الجزائرية المؤقتة ألف كتاب يحمل عنوان (الجزائر بين الأمس واليوم) الذي صدر في تونس في سنة 1958.

وفي سنة 1960، ألف مجموعة قصصية تحت عنوان" الظلال الجزائرية " صدرت في بيروت عن دار النشر دار المكتبة الحية.

وفي سنة 1960 أيضا، صدرت له " الأشعة السبعة " عن الشارقة القومية بتونس،

في سنة 1967، تصدر " الأرواح الشاغرة" ، مجموعة شعرية عن المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر

في سنة 1971، تصدر له أول رواية هي "ريح الجنوب" عن المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر والتي ستترجم إلى الفرنسية في سنة 1975 من قبل مارسيل بوا، ثم إلى حوالي 20 لغة، منها الاسبانية والإيطالية والألمانية والهولندية والروسية والصينية وعدة لغات أخرى .

في سنة 1975، صدرت له ثاني رواية وهي نهاية الأمس المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر والتي ستترجم في سنة 1977 إلى الفرنسية من قبل مارسيل بوا وعدة لغات أخرى.

في سنة 1974، تصدر له المجموعة القصصية " الكاتب وقصص أخرى" المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر.

في سنة 1980 تصدر له ثالث رواية بان الصبح التي ستترجم في سنة 1981. ثمّ رواية " الجازية والدراويش" 1983، و" غدا يوم جديد " 1992.

أدب عبد الحميد بن هدوقة:

يقول عبد الحميد بن هدوقة عن أدبه: " حاولت في ما كتبته على تواضعه، أن أعالج نقاط التأزم الرئيسية في الوضع الجزائري بصفة تدخل أكبر قدر من المستقبل في الحاضر، وتبتعد عن المضامين الجاهزة والأشكال النابعة من مراكز خارجية، اعتقادا مني بأن الانطلاق من المعطيات التاريخية المحلية لكل قطر عربي لو روعيت في أعمالنا الأدبية لأرجعت لنا شيئا من الكرامة، وجنبتنا كثيرا من مزالق الاستلاب،

فالثقافة العربية التي عاش العالم على كرمها الروحي ما يقرب من الألف سنة لا تستحق هذا الواقع الذي وضعها فيه تخلفنا المادي والسياسي. إن هذه الاهتمامات هي التي جعلتني في كل أعمالي الأدبية أعمل على معالجة الواقع المتأزم والجوانب المظلمة في حياتنا الاجتماعية مبتعدا بقدر الإمكان عن الاغتباط بما حققناه من إيجابيات"

كما يقول أيضا " أحاول أن آخذ من الواقع جزئيات متأزمة أبني منها واقعا فنيا لايختلف عن الواقع المعيش (...) أقوم بصياغة شخصيات تأليفية فأحدد مميزاتها الأساسية ريفية أو مدينية، أتخيل لباسها، ملامحها، بشرتها، طبقاتها. ثم أخص كل امنها بجذاذة فنية أضمنها سلوكها، تعاملها وعوائدها. وبعدها أبحث عن نوع العلاقات بين مختلف الشخصيات حتى تكون منطقية أخلق الصراعات والروابط. ثم أقوم بخطة العمل الروائي".

وفي دراسة تحليلية مطولة قام بها الناقد الجزائري الطيب لعروسي مدير بالمعهد العربي بباريس، قال إن عبد الحميد بن هدوقة قد يكون الأديب الجزائري الوحيد من جيله الذي تناول المرأة بشجاعة دون نفاق. لم يكن يكتب ليرضي أو ليستجيب لرغبات سياسة متفاوتة في التفاؤل، بقدر ما كتب عن الأوضاع الجزائرية من أعمق الأعماق، فبالإضافة إلى كونه أحد المؤسسين للرواية العربية في الجزائر، نراه يعالج موضوع المرأة دون لف أو دوران، فكتب عنها وعن جسدها في روايته " ريح الجنوب" التي أدخل فيها المرأة كإنسان له دوره الكامل ودخلت كجسد"

أما أحلام مستغانمي فتقول " إنّ رواية ريح الجنوب هي أول عمل إبداعي أدخل فيه المرأة – لها جسد وشهوات إنسانية، وأنها عضو فعال في المجتمع الجزائري"

ويقول الناقد الفرنسي جان بول ايفري إن عبد الحميد بن هدوقة جزائري حتى النخاع لأنه يعكس هموم الطبقات والشرائح الاجتماعية وطموحاته عبر أعماله الأدبية، شعرا أو رواية، ووضع المرأة في المقام الأول، ذلك أنها أهم مدرسة، فالمرأة احتلت المكانة التي يجب أن تحتلها لا غير في أعمال بن هدوقة.

ويضيف الطيب لعروسي أن المتتبع والملاحظ للمشهد الثقافي والفكري الجزائري يستخلص العوامل المشتركة بين عبد الحميد بن هدوقة ومصطفى لشرف. فكلاهما ينتقدان السلطة من داخل الساحة دون انتهازية ودون تملق للسلطان. ولعبد الحميد بن هدوقة موقف واضح من المثقف الجزائري الذي كان دائما يفكر من داخل السلطة الجزائري " وهي لم تكن تقيم له أي وزن له لأنها ليست مثقفة ولأنها لا تقرأ والقاعدة القارئة لم تكن تشكل لها في جزائر السبعينيات (قضية التعريب) أي وزن" " فهم الحكام كان ولا زال السلطة والمسؤولية، والسلطة كانت دائما أجنبية عن الثقافة."

رواية " ريح الجنوب"

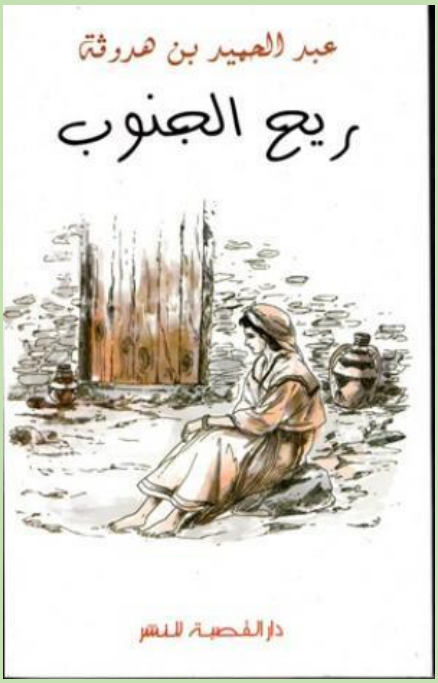

نشرت الرواية في 1971، وبذلك وبإجماع جميع النقاد، تعد أول رواية جزائرية ناضجة فنيا مكتوبة باللغة العربية. عدد صفحاتها في طبعتها الأولى 266 وصدرت عن المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر. ترجمت في 1975 من قبل صديقه مارسيل بوا وحولت لفيلم سينمائي من إخراج سليم رياض.

قال عنها الناقد الجزائري الكبير، الدكتور عبد الله ركيبي، " وبالجملة فإن الرواية فيها الشيء الكثير مما يمكن أن يقال من حيث أسلوبها وموضوعها ومحتواها فالمؤلف فيها ألم بحياة الناس في القرية...تحدث عن الفرد وعن روح الجماعة، عن الماضي القريب والبعيد أيضا تحدث عن الواقع والمستقبل... وكان معلما أحيانا وفنانا أحيانا كثيرة وفي كل ذلك كان رائده خدمة الأدب والمجتمع والتأصيل لفن الرواية العربية وما هذا بالقليل"...

يمكن القول إنّ الكاتب حاول في هذا العمل أن يؤرخ ويرسم كل زوايا القرية الجزائرية، فنفيسة ابنة الاقطاعي التي تتعلم بالعاصمة، يتعرض مستقبلها للخطر فوالدها عابد بن القاضي يسعى لأنّ لا تطاله قوانين الإصلاح الزراعي الوشيكة الوقوع، فيقرر تزويجها من رئيس البلدية المنفذ لهذه القوانين، والمرتبط بعلاقات قديمة متفاوتة الدرجة والنوع مع ابن القاضي الذي لم يكن تاريخه ابان الثورة التحريرية تاريخا نقيا كما هو حال رئيس البلدية.

ونفيسة يخنقها جو القرية الرتيب الثقيل الخالي من الحركة والحياة الصاخبة التي ألفتها في العاصمة، لذلك ما أن تعرف بقرار الأب حتى يزداد نفورها من القرية، وتهرب باتجاه العاصمة، فتضل الطريق ليلقاها الحطاب رابح الذي كان يعمل راعيا لأغنام والدها، وصدته وصدمته بعد أن حاول الاعتداء عليها حين فسر مجاملتها له بأنها دعوة شهوة.

يعود بها رابح إلى بيته في القرية بعد أن ينقذها من لدغة أفعى في تلك الغابة التي ضلت فيها، فيصل خبر وجودها إلى الأب الحائر الباحث عن ابنته الهاربة،

فيقتحم المنزل، فيكون اشتباك تتدخل فيه أم رابح الخرساء لتحسمه لصالح ولدها، كل ذلك يجري ورئيس البلدية لا يحرك ساكنا فنحن نعرف موقعه ولا نعرف موقفه، قلبه مع البؤساء وسيفه ليس معهم، لا يكره نفيسة وغير متحمس لغرض والدها... إذن يمكن القول أن زوايا اللوحة الاجتماعية هي الاقطاع والمرأة والسلطة والبؤساء مثلتها شخصيات تتحرك وتتفاعل من موقعها مع بعضها البعض، لتكون الحدث الدرامي نفسه ولتؤكد لنا موقف الكاتب نفسه أيضا.

هذه الرواية سيحولها المخرج سليم رياض إلى فيلم سينمائي غير أنه اختار نهاية مخالفة لما كانت عليه في الرواية حيث يجعل بطلة الفيلم نفيسة تهرب وتفلت من قبضة والدها بمساعدة رابح الراعي. وكانت نهاية الفيلم في أن تتمكن نفيسة رفقة رابح من الركوب في الحافلة المتجهة نحو العاصمة فيما كان والد عابد بن قاضي يلاحقها ممتطيا فرسه فيتمكن من اللحاق بالحافل التي أقلعت لكن سرعان ما تتجاوزه وتبتعد عنه بمسافات ويفشل في إلقاء القبض على نفيسة.